الإستعمار الثقافي وتحديات التعليم في أفريقيا

■ د. محمد أحمد فياض

الملخص

يهدف هذا البحث الى تشخيص أهم التحديات الإعلامية والثقافية الغربية والإستعمارية التي تقف بوجه تطور التعليم في القارة الافريقية من خلال دراسة واقع الغزو الثقافي والفكري الغربي الموجه إلى أبناء وشعوب القارة ومحاولة الدول الاستعمارية طمس خصوصيات الثقافة الافريقية وتصدير نماذج غربية مصطنعة لاتصلح للتطبيق في هذه القارة حيث يقف وراء كل ذلك جهاز إعلامي ـ دعائي ضخم يضع مصالح بلدانه الغربية فوق كل شيء خاصة مع بروز العولمة التي تحاول تحجيم الثقافات الاخرى بل وإلغاء دورها من الأساس في محاولة لتصدير نموذجهم الحياتي الجديد الذي لايعترف بثقافة الآخر.

وفي ظل كل هذه التحديات درسنا الواقع المؤلم للتعليم في القارة الافريقية ومعوقات التنمية العلمية وما هو الطريق السليم أو البديل للإرتقاء بنظم التعليم وخلصنا الى جملة نتائج منها :

1ـ التأكيد على أهمية أن يحظى التعليم العالي بالأولوية على المستوى الافريقي.

2ـ العمل على أن يكون إتحاد الجامعات الأفريقية في موضع العقل الأفريقي

المفكر فيما يخص بناء التعليم العالي والبحث العلمي في اطار الاتحاد الافريقي .

المقدمة

لاشك أن عملية الارتقاء بالمجتمعات الإنسانية سلسلة مترابطة ووثيقة لاتنفصم حلقاتها العلمية عن بعضها البعض، ولايمكن التركيز على متغير ما دون التركيز على بقية المتغيرات ايضاً، وبمعنى آخر إن النهوض بالامم والشعوب يجب ان يبدأ من القاعدة ومحاولة الإرتقاء بها في كل الجوانب الإنسانية وعدم ترك الظواهر المستفحلة في مهب الريح وبالتالي ترسخها في المجتمع كمرض خطير لايمكن استئصاله .

من هنا علينا النظر إلى واقع دول القارة الافريقية التي تضم مجتمعات متباينة الثقافة والتعليم والتوزيع السكاني والنمو والتوجهات والايديولوجيات الأمر الذي أفرز عن واقع غير متجانس يحتاج إلى جهود مضنية في سبيل الارتقاء به وبناء توجهات فاعلة وموحدة نحو تكتل فضائي منسق في عالم يحفل بالتغيرات الجذرية والاستراتيجية .

على أن بروز العولمة بكل تحولاتها وأهدافها قد أيقظ الشعوب والأمم من أجل تدارك مخاطرها والعمل على مسايرتها والاستفادة من توجهاتها بما لايمحو الهوية الثقافية والعلمية لهذه الدول والشعوب .

إن الإستعمار الإعلامي الثقافي الذي فرضه عالم الشمال بحكم امتلاكه لكل المقومات التكنولوجية والمادية والخبرة المتراكمة قد جعل دول عالم الجنوب في موقف لاتحسد عليه فهم في خانة الدول المستهلكة والمقلدة والهاضمة لكل ما تفرزه مؤسسات العالم الإستعماري الغربي .

ولاشك أن افتقار القارة الافريقية الى مستوى متقدم في التعليم والرقي، جعلها ارضاً خصبة للتوجهات الغربية التي تعمل على غزوها إعلامياً وثقافياً في ،محاولة لتصدير نموذجها الغربي في هذا المجال، وبالتحديد النموذج الامريكي .. مما أوجد تبعات خطيرة في هذه القارة البكر التي تقف في وجه هذه

التحديات الخطيرة بسلاح بدائي هو بحاجة ماسة إلى التطوير والتجديد والابتكار والتخطيط الجدي .

من هنا تبرز مشكلة هذا البحث الذي يهدف إلى تشخيص هذه التحديات وإبرازها ووضع الحلول الناجعة للتسلح المعرفي القادر على الوقوف بوجه هذا الغزو الثقافي الذي يزداد يوماً بعد آخر بحكم ازدياد تقنية الإتصالات والإعلام القادر على التوغل في عمق هذه المجتمعات وبث رسائله الاتصالية بكل تقنيات العصر الحديث .

على أن الأهمية تكمن هنا بالتأكيد على أن وضع الأساس المعرفي والعلمي في القارة الافريقية يتطلب جهوداً جبارة لابد أولاً أن تستقرىء الحصيلة والموروث الإستعماري التاريخي المتراكم الذي عمل وبجهود منتظمة للسيطرة على هذه القارة البكر وامتصاص خيراتها وحاول نقل مواريثه الثقافية والعلمية إلى أبناء أفريقيا وبأسلوب تقليدي مبسط بحيث لايخدم أغراض التنمية فيها على المدى الطويل بقدر ما يرمي إلى ترسيخ أهدافه الاستعمارية وخلق جيل افريقي هو الذي يتولى الدفاع عن النمط الغربي الذي استلهمه وكأنه يدافع عن موروثه الحضاري والعلمي الأفريقي دون أن يشعر إنما يدافع عن ثقافات أجنبية زرعها المستعمر لاغراض مصلحية خاصة به .

وبالتالي إذا ما فهمنا كل ذلك نكون قد وضعنا اللبنة الاساسية للنهوض الحقيقي والعلمي في هذه القارة وبالتأكيد فإن ذلك يحتاج الى جهود جبارة تستند بشكل كبير على أبنائها لوضع القواعد الجديدة لصروح التقدم العلمي في القارة الافريقية مستقبلاً .

وعليه فإننا سنحاول أولاً معرفة واقع الاستعمار الاعلامي والثقافي على الخارطة الدولية لننتقل بعدها إلى تأثيره في الساحة الافريقية .

واقع الاستعمار الاعلامي والثقافي على الخارطة الدولية

لقد تبنينا مصطلح (الاستعمار الإعلامي ، الثقافي) في اشارة الى اشكال النشاط الإعلامي والثقافي العالمي والذي يتصف بهذه السمة البارزة وهذا

المصطلح لم يأت من فراغ وانما له جذوره المترسخة فالدول الرأسمالية الغربية تسيطر اليوم على 90٪ من المعلومات والاخبار فضلاً عن سيطرة شبه تامة على عالم الإتصالات التقنية وبالتالي السيطرة على المنتوجات الثقافية والعلمية التي توزع وفق مخطط مدروس في هذا المجتمع او ذاك .

إن غياب التأثير الإعلامي الثقافي المتبادل بين الدول المصدرة والدول المتلقية قد اشعر الدول الاخيرة بأن هناك غزواً حضارياً تقوم به دول أخرى سببه عدم التوازن في مصادر القوة بين الاقطار المعنية حيث يبرز عنصر الغزو وعدم التوازن في مصادر القوة استعمال هذا المصطلح ، إن دراسة الإستعمار بوصفه ظاهرة سياسية واقتصادية عامة تربط الظاهرة بالمتطلبات الهيكلية والاقتصادية للدول الاستعمارية وتقدم بذلك إطاراً لفهم العلاقات الدولية بين هذه الدول وكما ان دراسة الإستعمار الإعلامي ـ الثقافي معنية بجوانب العلاقة بين النظم الاعلامية في الأقطار النامية .

ان مبدأ التدفق الحر للمعلومات الذي تبنته الدول الاستعمارية الغربية قد رسخت توجهاته حتى في الإعلان العالمي لحقوق الانسان الذي استمد مبادئه من هذا التدفق الحر في كثير من جوانبه والذي طرحت بموجبه بعض المسائل الفكرية لتحقيق الإقناع .

وهكذا انطلق العالم الغربي في محاولات لفرض سيطرته على الخارطة الدولية باسم هذه الحرية التي كفلها له القانون الدولي بمادته (التاسعة عشر) من حقوق الإنسان وبنى تكتلات إقتصادية ـ إعلامية قوية لدرجة أنها استطاعت غزو القارات والدول بكل ما تمتلكه من قوة وبرامج ثقافية وتوجهات تجعل الآخرين ينظرون لها بعين الإعجاب واليقين وعلى رأس هذه الفلسفة الاستعمارية تقف الولايات المتحدة الامريكية .

لقد مجدت جميع القوى الاستعمارية بشكل او بآخر الرسالة (الحضارية) الامريكية التي كانت تقوم على مد الشعوب الأخرى بالثقافة الغربية واسباب التقدم الصحي وعجائب التقنية الحديثة والسلام بين الشعوب المتعادية فيما بينها .

فانطلقت هذه الدولة في رحاب المدنية الحديثة بعد عصر الثورة الصناعية وهي تحمل مضامين ومفاهيم عصرية هي أقرب إلى المثاليات التي تعكس أسلوبهم الجديد في الحياة. ومن هنا بدأت التناقضات تسيطر على مجرى السياسة الأمريكية لتولد فيما بعد ما يمكن أن نطلق عليه (السياسة السرية) فهذا الانبهار الذي أصاب المدنية الحديثة جعل القيم الدلالية للمجتمع الامريكي في حالة تأرجح بين الشك واليقين .

يقول المؤرخ الامريكي رونالد ستيل في كتابه (السلام الأمريكي): إن مغامرة بناء الامبراطورية الامريكية تقوم على التأكيد بأن من واجب أمريكا إن تجعل العالم أكثر سعادة وأكثر تنظيماً واكثر تماثلاً مع صورتها، لذلك يمكن القول إن من أهم الوكالات الدعائية والثقافية الامريكية المتوغلة في الدول الافريقية بصورة خاصة والدول النامية بصورة عامة تقف وكالة الاستعلامات الأمريكية انشئت هذه الوكالة عام 1953ف بوصفها الاداة الحكومية الرسمية للاتصال الخارجي بسبب زيادة النفوذ والتوسع الامريكي في الخارج عقب الحرب العالمية الثانية ، حيث تبنت مهمة السياسة الخارجية الامريكية الرامية إلى إحباط وكبح التغير الاجتماعي في الأمم الاخرى من أجل حماية فرص الاستثمار للشركات الأمريكية في دول العالم

كل ذلك أدى فيما بعد إلى إبراز مصطلح العولمة، ومحاولة بسط نفوذها باسم الحرية على الواقع الدولي للعمل بكل مؤسساتها من أجل فرض الهوية الثقافية الجديدة على العالم، ونزع أو إعادة هيكلة الثقافات الوطنية في الدول الأخرى وهذا ما ولد هيمنة غربية جديدة تعد مرحلة متطورة من مراحل الاستعمار الاعلامي الغربي الذي تناولناه .

سيادة العولمة وتفكيك الثقافات الأخرى

ان ظهور العولمة على انها اتجاه متنامٍ سوف يصبح معها العالم دائرة اجتماعية وسياسية واقتصادية وثقافية واحدة تتلاشى في داخلها الحدود بين الدول . قد جعل منها السمة البارزة المميزة لعصرنا وخلق مفاهيم عديدة

سياسياً واقتصادياً وثقافياً ..

حيث ارتبط المفهوم الثقافي للعولمة بفكرة التنميط (Uniformalisation) او التوحيد (Unification) الثقافي للعالم على حد التعبيرات التي استخدمتها لجنة اليونيسكو العالمية في الإعداد لمؤتمراتها الدولية، فقد رأت اللجنة ان التنميط الثقافي يتم باستغلال ثورة وشبكة الاتصالات العالمية وهيكلها الاقتصادي الانتاجي المتمثل في شبكات نقل المعلومات والسلع وتحريك رؤوس الأموال. كما أن التنميط أو التوحيد الثقافي هو مرآة التطور الاقتصادي للعولمة، فمن البديهي ان يتكامل البناء الثقافي مع البناء الإقتصادي المعلوماتي ومن هنا اتخذ المفهوم الثقافي للعولمة بعداً إقتصادياً وإعلامياً ،

إن وسائل الاعلام هي أداة التوصيل والتأثير بالأفكار الثقافية التي يراد لها الانتشار وعلى الجانب الآخر يقف المعارضون لثقافة العولمة على اعتبار أنها تسعى إلى طغيان ثقافة عالمية واحدة على الثقافات القومية والمحلية المتعددة بما يشكل خطراً على خصوصياتها وعلى المدى الطويل قد يؤدي إلى ابتلاعها والحلول محلها. من هنا برزت اتجاهات متنوعة للتعامل مع هذه الثقافة، بعضهم دعا الى محاربتها والتصدي لها والتمسك بالمنهج العلمي في التفكير والتعامل مع الأشياء وترقية مناهج التعليم في المؤسسات الوطنية، بينما رأى اتجاه آخر بضرورة النظر اليها من زاوية التفاعل بين الثقافات ، ذلك بأن التفاعل الايجابي بين الشعوب والدول سوف يرسخ قيماً ثقافية رئيسية مشتركة تجمع الثقافات في بوتقة واحدة بحيث تكون الثقافات الوطنية مزيجاً من ثقافة دولية تحترم المعاصرة وثقافة محلية تحافظ على الأصول والمنابع .

وعلى سبيل المثال فان الثقافة الأفريقية لها قواسمها المشتركة مثلما لها خصوصيتها التي تميز الثقافة العربية الليبية عن الثقافة النيجيرية او الثقافة الأوغندية .. الخ .

وهناك اتجاه آخر يرى أصحابه أنه ليس هناك ما يدل على أن اتجاهات العولمة تهدف بالضرورة إلى محو الهويات الثقافية المتعددة، لأن العولمة ليست بحاجة الى، فرض نظام ثقافي معين على كل أنحاء العالم ومن المستحيل محو التعددية

والخصوصية الثقافية فالعولمة لن تستطيع إلغاء تميز الثقافات لأن اي شعب له حضارة ثقافية وقيم خاصة به يستطيع أن ينتقي من الثقافات الاخرى.

ولكن المؤكد أن الهيمنة الغربية على مخرجات ومجريات الثقافة سوف تنعكس على الدول الاخرى وهذا بدوره ينقلنا إلى التساؤل عن خصائص ثقافة العولمة والتي يمكن ان نعددها استناداً الى موروثها السائد وكما يلي :

أ- هي ثقافة يصاحبها في الغالب خطاب تقني وعلمي فهي تُنقل عبر الوسائل الإتصالية الحديثة وهي بذلك ثقافة مصنوعة بحساب .

ب - هي نخبوية تَفرض من أعلى من دون أن تكون لها قاعدة شعبية ، أولا تعبر عن حاجات محلية ولاتلتزم بأشكال ومضمون التراث الثقافي الذي تنتقي منه فالمستقبلين الفعليين لثقافة العولمة هم نخبة من كل المجتمع مع وعي هذه النخبة المستقلة بحدود هذه الثقافة وخصائصها ومن ثم تتسرب إلى قطاعات أخرى يستقبلها الأفراد كل حسب امكانياته وقدراته فالانسان البسيط في أي مجتمع قد يستهلك بعض السلع التي تلقى عليه عبر ثقافة الاستهلاك العالمية ولكنه لاعلاقة له بجوانب كثيرة من ثقافة العولمة (استخدامات الكومبيوتر وشبكة الإنترنت وأدوات التجميل واستقبال القنوات الفضائية .. الخ) .

ج - وإذا كانت ثقافة العولمة نخبوية فإنها تساعد على تركز القوة وهي ليست قوة سياسية فحسب بل قوة التكنولوجيا المرتبطة بالمشروعات الصناعية ذات الصبغة الكونية لشبكات الكمبيوتر والإنترنت فهذه الشبكات أصبحت مصدراً رئيسياً لثقافة العولمة بجانب الشبكات التلفزيونية .

د - إرتباطها الوثيق بثقافة الإستهلاك فالعمليات المرتبطة بنشر الحداثة تساعد على نشر القيم والرموز وأساليب السلوك المرتبطة بالاستهلاك .

وإذا ما أردنا أن نُقرّب الصورة بشكل أوضح دعنا نتساءل عن تأثيرات هذه الثقافة العولمية على الساحة الافريقية من خلال الاخطبوط الثقافي الغربي الذي يحاول مد جسوره الى أبعد الآماد .

الأخطبوط الثقافي الغربي في القارة الأفريقية

لقد عانت القارة الأفريقية من تبعات الاستعمار الأوروبي الحديث بكل أشكاله وأصنافه وانعكست هذه المعاناة على شعوب تلك القارة الكبيرة بشكل مباشر حيث بقيت تعاني من التخلف والجهل وتفشي الأمراض والأمية وآفات الجوع ومشكلات التصحر وغيرها من المشاكل المعوقة للتنمية وكان المستعمر يتحمل القسط الأكبر من المسؤولية فيما آلت اليه الامور هناك بحكم أن المستعمر الأوروبي وضع نصب أهدافه سرقة خيرات هذه الارض الممتدة والابقاء على الجهل والأمية بين أبناء شعوبها لإدامة المد الاستعماري ردحا طويلاً من الزمن وخير دليل ما تركه المستعمر البريطاني والايطالي والفرنسي من تبعات مازال بعضها عالقا إلى هذه اللحظة .

والملاحظ وبشكل كبير أن فرنسا التي احتلت أراض شاسعة من القارة إبّان فترة الإستعمار المباشر وجهت عنايتها منذ بداية الثمانينيات من القرن الماضي نحو المناطق التي خرجت منها ماديا وعسكريا وبشريا لتغزوها فكريا وثقافيا عن طريق تشكيل (مؤتمر الدول الفرانكفونية) أو (مؤتمر الدول الناطقة بالفرنسية) والتي خصصت لها فرنسا كافة الإمكانات من أموال ووسائل وحتى وزارة مستقلة وخاصة تعنى بتصدير الثقافة الفرنسية إلى تلك الدول وهناك مجلس أعلى يرأسه رئيس جمهورية فرنسا ذاته يتفرع منه عدد كبير من الأجهزة والمنظمات والهيئات داخل فرنسا وخارجها .

بل إن الحكومة الفرنسية حرصت على مد الشبكات الإذاعية وأطياف الترددات التلفزيونية الى دول القرن الأفريقي من أجل تعزيز السيادة الفرنسية والحفاظ على الهوية الثقافية الفرنسية في الكثير من البلدان الأفريقية إبتداء من اللغة السائدة في الشارع أو قطاع التربية والتعليم او وسائل الإعلام وصولاً إلى القيم وأنماط الحياة السائدة في المجتمعات الأفريقية .

فقد عرفت فرنسا كيف تستثمر لغتها وثقافتها في خدمة مصالحها السياسية والإقتصادية وهيّأت كل الظروف لتجعل من الايديولوجية الفرانكفونية، المظلة التي ينضوي تحتها أكثر من أربعين دولة أغلبها من أفريقيا

بحيث اصبح المد الفرانكفوني يشكل خطرا داهما ومهدداً لثقافات ولغات الشعوب التي انخرطت حكوماتها في هذه المجموعة حيث اغرقت فرنسا الاسواق بعدد لايحصى من الكتب والمجلات والنشرات ورصدت الجوائز الكبيرة في مختلف التخصصات وشجعت النوادي والمراكز الثقافية والأفراد والهيئات على الاهتمام بكل ما هو ناطق بالفرنسية وأن تكون لغة التواصل الجماعية ولغة العلم والتصنيع والثقافة والتقنية الحديثة .

وحاولت بريطانيا أيضاً أن تضع لها بصمات في بعض الدول المحسوبة عليها وعملت على إرساء قواعد لمؤسسات ثقافية لازال العديد منها يعمل في الوقت الحاضر بكل حرية وتفاعل في هذا المجتمع الأفريقي فضلاً عن منظمة دول الكومنولث التي تضم الدول التي خضعت للتاج البريطاني في السابق ومنها بعض الدول الافريقية .

وإذا كان الإيطاليون قد ركنوا جانباً الى حد ما بعد هزيمتهم في الحرب العالمية الثانية وفقدانهم الإرث الإستعماري الكبير الذي كانوا يسيطرون عليه في القارة الأفريقية وحاولوا جاهدين الحفاظ على بعض المستعمرات خاصة في شمال أفريقيا وأرض الصومال بحكم الموقع الاستراتيجي لهاتين المنطقتين فإنهم بالنهاية انسحبوا لما لاقوه من مقاومة عنيفة من شعوب هذه البلدان خاصة ليبيا، واضطرار المحتل إلى الإنسحاب فإن الولايات المتحدة التي لم تُعرف بأنها استعمرت أرضاً من القارة الافريقية بشكل مباشر نهضت بشكل كبير في العقود الاخيرة من اجل ضرب المصالح الأوروبية في القارة الأفريقية وعملت جاهدة على مد الجسور الثقافية مع بعض دولها من خلال فتح مراكز لوكالة الاستعلامات الأمريكية في بعض دولها المؤثرة كمصر وتونس والمغرب وجنوب أفريقيا وكينيا وتنزانيا وصارت هذه المراكز عبارة عن بوابة للتوغل الامريكي في عمق القارة حيث فتحت الآفاق الثقافية أمام شعوب القارة لتنهل من الوعاء الأمريكي بكل ما يحتويه من علوم وتقنيات وحداثة فضلاً عن سموم فكرية وايديولوجية تمجد النموذج الأمريكي وتسحب البساط من تحت أقدام وثوابت الثقافة الافريقية المتجذرة ووصل الأمر بالولايات المتحدة إلى تقديم المساعدات المالية والتقنية لإنشاء محطات إذاعية وتلفزيونية في بعض دول القارة وبالتالي

وقفت هذه الدول عاجزة عن ملء الوقت المخصص للبث بالبرامج لعدم توافرها أو لتكلفة إنتاجها الباهظة مما حذا بالولايات المتحدة إلى تقديم كميات كبيرة من البرامج الثقافية والتعليمية إلى هذه المحطات مجاناً او بأسعار رمزية ولنا ان نحلل طبيعة هذه البرامج ومحتوياتها التي تخدم البراغماتية الأمريكية بشكل لايقدر بثمن ولا تستطيع الجيوش تحقيقه لو أنها غزت هذه الدول عسكرياً .

ولايقف الأمر عند حدود أمريكا بل إن ربيبتها (إسرائيل) حاولت مد أخطبوطها في عمق القارة من خلال بعض دولها كأثيوبيا وإرتيريا وساحل العاج والكاميرون حيث تربطهم علاقات طيبة وبالتالي عملت جاهدة على مد الجسور الثقافية في هذه البلدان ومنها إلى الدول المجاورة سواء في ترسيخ ما يسمى (العقل اليهودي فائق الذكاء) والإستثمارات المالية والمعارف والآداب اليهودية بل وصل الامر إلى حد إقامة ندوات مشتركة تبحث المعاناة اليهودية ـ الأفريقية عبر التاريخ من قبل المستعمرين والمضطهدين وتخصيص الجوائز السنية للمثقفين والمترجمين الأفارقة العاملين على ترجمة الثقافة والآداب اليهودية إلى اللغات الأفريقية وفتح المجال أمامهم لطبع نتاجاتهم ومكافأتهم .

واقع التعليم في أفريقيا والتحديات المستقبلية :

إنّ نظرة متفحصة لواقع التعليم في البلدان الأفريقية نجدها تعاني من التخلف وعدم الوصول إلى المستوى الذي يؤهلها لإشباع الحاجات الأساسية بشكل يتناسب مع حق الإنسان المعاصر في العيش الكريم بما في ذلك تلك الدول التي تتوفر لديها ثروات طبيعية هائلة تؤهلها لتحقيق مثل هذا الطموح لو اجادت التخطيط في كيفية استخدامها .

ففي الوقت الذي توجد فيه دول أفريقية استطاعت تجاوز معدلات النمو الإعتيادي في التعليم العالي وعدد الكليات والمعاهد العليا المتوفرة لديها نجد دولاً أخرى تتوفر لديها جامعات وكليات ومعاهد عالية لكنها تفتقر إلى الكوادر العلمية المتخصصة فيما يغيب كل ذلك عن اغلب البلدان الاخرى ، على أن إرتفاع نسبة الأمية وانخفاض دخل الفرد في هذه الدول جعل من التعليم لدى الكثير من

شعوبها وكأنه (رفاهية ارستقراطية) لاتجوز إلا لأبناء الذوات أو الذين يملكون وفق هذا وذاك تقف عناصر مهمة وراء كل هذه المسلمات أهمها :

1ـ تعدد اللغات والمشارب الثقافية في القارة وتوطن الأمراض والفقر والجهل وقلة الإمكانات المادية والخبرات العلمية قد جعلها في أدنى مستويات التعليم المسجلة رسمياً لدى منظمة اليونسكو .

2ـ هجرة الكثير من العقول العلمية من القارة الى أوروبا والأمريكتين طلباً للرزق ولعدم توفر القاعدة التنموية الرصينة القادرة على استيعابهم في بلدانهم النامية .

3ـ غياب الخطط والبرامج التنموية والاستراتيجية الفاعلة في هذه البلدان .

4ـ التبعية السياسية والاقتصادية والثقافية للكثير من البلدان الأفريقية نحو البلدان التي استعمرتها ردحاً طويلاً من الزمن .

على أن قيام الإتحاد الافريقي في نهاية القرن العشرين قد أوجد مؤسسات ومنظمات اتحادية افريقية تحاول جاهدة وضع الأسس العلمية للإرتقاء بواقع التنمية الأفريقية نحو سلم التطور الذي أصبح ديدن الشعوب وطموحها ولم يغب واقع التعليم عن هذا الإتحاد حيث اولاه اهمية خاصة .

ولعل إتحاد الجامعات الافريقية ولجانه المنبثقة عنه خاصة في اجتماعه الثالث الذي عقد بمدينة سبها بداية عام 2002 قد شرع عملياً في التخطيط السليم لواقع عمل هذه الجامعات وعقد عدة اجتماعات على مستوى لجانه التنفيذية والفرعية لوضع الخطط والبرامج المستقبلية التي تخدم وحدة القارة وتحقق تطلعاتها وطرحت عدة أفكار لتحقيق الأهداف التالية :

1ـ التأكيد على أهمية أن يحظى التعليم العالي بالأولوية على المستوى الافريقي

2ـ العمل على ان يكون اتحاد الجامعات الأفريقية في موضع العقل الافريقي المفكر فيما يخص بناء التعليم العالي والبحث العلمي في إطار الإتحاد الأفريقي .

3ـ قدرة الاتحاد على مساعدة الجامعات الافريقية الاعضاء في خلق اهداف مشتركة وإقامة تعاون فيما بينها والتعامل بين هذه الجامعات والإتحاد

الأفريقي والمنظمات الدولية والإقليمية التي تختص بالتعليم العالي .

4- إمكانية ان يقوم اتحاد الجامعات الأفريقية بتجميع قدرات وكفاءات الجامعات الافريقية لتقديم الاستشارات ومعالجة القضايا الملحة في افريقيا مثل (السلام ، التنمية ، الأمراض المعدية ..) .

5- مساهمة اتحاد الجامعات الأفريقية في بناء القدرات الشخصية وقدرات المجتمعات واستيعاب هذه المجتمعات لأسس ومباديء الديمقراطية وحقوق الانسان ونشر التنمية المستقرة والمستديمة .

الخاتمة

ان الحديث عن التعليم في هذه القارة العملاقة يبقى اسيراً للواقع المؤلم والماضي الاستعماري الذي أخذ من خيرات بلدانها الشيء الكثير وبالتالي وجدت شعوب القارة نفسها أمام تحديات كبيرة أسوة بدول العالم الثالث في هذا الكون..

فالهيمنة الإعلامية الإستعمارية قد فرضت نفسها ومازالت على شعوب الارض بحكم امتلاكها لتكنولوجيا المعلومات والخبرة ورأس المال وتحكمهم بخيوط وشبكات الاتصالات الدولية مما انعكس سلباً على دول القارة التي اصبحت متلقية للمعلومات وكذلك للثقافة الاوزوبية الإستعمارية فضلاً عن الثقافة الامريكية التي فرضت نفسها بقوة بعد الحرب العالمية الثانية .

ومما زاد الأمر سوءاً بروز العولمة بكل تياراتها واتجاهاتها الرامية للسيطرة على إقتصاد السوق العالمي مما انعكس أيضاً على ثقافة الشعوب الافريقية وواقعها المؤلم وباتت ثقافاتها ومواريثها مهددة في عقر دارها نتيجة الغزو الثقافي وهذا ما إجعل مؤسسات التعليم النامية فيها مهددة هي الأخرى باسم التبعية وبالتالي انعكاسها سلباً على خطط التنمية الطموحة التي يرمي اليها الإتحاد الأفريقي الذي برز الى النور وهو يحمل تطلعات ابناء القارة حيث اولى التعليم اهمية كبرى باعتباره الركيزة الأساسية للإرتقاء بخطط التنمية وإدراكهم أن عالم الغد هو عالم الفضاءات الموحدة حيث ان عجلة العولمة قادرة

على اكتساح الدول المنعزلة وتهميشها ... وهذا يتطلب ثورة كبيرة في التعليم تبدأ بوضع الركائز الأساسية للمجتمع النامي والانفتاح على العالم ومحاولة وضع الحلول الناجعة لكل المشاكل التي تعترض العملية التعليمية في القارة وهذا ما سوف ينعكس إيجاباً بكل تأكيد على مستقبل القارة الافريقية .

(1) جيمس كوران وآخرون ، الاستعمار الاعلامي : نحو إطار عالمي لتحليل النظم الاعلامية ، ترجمة سمير عبدالرحيم الجلبي ، مجلة البحوث ، العدد (27) بغداد ، سبتمبر 1989،ص117 .

(2) كلود جوليان ، الإمبراطورية الامريكية ، ترجمة ناجي ابو خليل و د. فؤاد شاهين ، دار الحقيقة بيروت 1970ص5 .

(3) المصدر السابق ص19

(4) هربرت شيللر ، المتلاعبون بالعقول ، ترجمة عبدالسلام رضوان سلسلة عالم المعرفة الكويت 1986 ص58 .

(5) كمال عبدالغني المرسي العلمانية والعولمة والأزهر ، دار المعرفة الجامعية الاسكندرية 1999 ، ص93 .

(6) المصدر نفسه ، ص92 .

(7) السيد أحمد مصطفى عمر ، إعلام العولمة وتأثيره في المستهلك مجلة المستقبل العربي العدد (256) بيروت يونيو 2000 ص74 ـ 75

(8) المصدر نفسه ص75 .

(9) د. أحمد زايد ، عولمة الحداثة وتفكيك الثقافات الوطنية ، مجلة عالم الفكر العدد (1) الكويت يوليو ـ سبتمبر 2003 ص15 ـ 17 .

(10) عبدالعلي الودغيري في الثقافة والهوية منشورات البوكيلي الرباط ، 1995ص89

(11) المصدر السابق ، ص72 ـ 73 .

وللمزيد ينظر : د. محمد المبروك يونس ، تأثيرات الغزو الاعلامي على الثقافة والهوية مجلة الرفقة العدد (2) طرابلس مارس 2002 ص 26 ـ 33 .

(12) للمزيد حول هذا الموضوع انظر : فلاديمير بولشاكوف الإرهاب على الطريقة الامريكية دار التقدم موسكو ، 1986 .

(13) انظر : فؤاد بن سيد عبدالرحمن الرفاعي : النفوذ اليهودي في الأجهزة الاعلامية والمؤسسات الدولية مكتبة الصحابة الاسلامية ، الكويت 1987 ص 79 ومابعدها .

(14) د. ابراهيم الشريف نحو منظور أفريقي للتنمية الذاتية المستديمة مجلة الرفقة العدد (2) طرابلس مارس 2002 ، ص96 .

(15) مجلة جامعة سبها ، العدد (1) يوليو 2002 ، ص 4 ـ 5 .

1ـ فلاديمير بلولشكاكوف : الإرهاب على الطريقة الامريكية دار التقدم موسكو 1986 .

2ـ كلود جوليان : الامبراطورية الامريكية ترجمة ناجي او خليل و د، فؤاد شاهين ، دار الحقيقة بيروت ، 1970 .

3ـ احمد زايد : عولمة الحداثة وتفكيك الثقافات الوطنية مجلة عالم الفكر العدد (1) الكويت يوليو ـ سبتمبر 2003 .

4ـ ابراهيم الشريف : نحو منظور افريقي للتنمية الذاتية المستديمة مجلة الرفقة العدد (2) طرابلس ، مارس 2002.

5ـ هربرت شيللر : المتلاعبون بالعقول ، ترجمة عبدالسلام رضوان ، سلسلة عالم المعرفة ، الكويت ، 1986 .

6ـ السيد احمد مصطفى عمر : إعلام العولمة وتأثيره في المستهلك ، مجلة المستقبل العربي ، العدد (256) بيروت ، يونيو 2000.

7ـ فؤاد بن سيد عبدالرحمن الرفاعي : النفوذ اليهودي في الاجهزة الاعلامية والمؤسسات الدولية مكتبة الصحابة الاسلامية الكويت ، 1987 .

8ـ جيمس كوران وآخرون : الاستعمار الاعلامي ترجمة سمير عبدالرحيم الجلبي ، مجلة البحوث ، العدد (27) بغداد سبتمبر 1989 .

9ـ مجلة جامعة سبها ، العدد الاول يوليو 2002.

10ـ كمال عبدالغني المرسي : العلمانية والعولمة والازهر ، دار المعرفة الجامعية الاسكندرية ، 1999 .

11ـ عبدالعلي الودغيري : في الثقافة والهوية منشورات البوكيلي ، الرباط 1995 .

12ـ محمد المبروك يونس : تأثيرات الغزو الاعلامي على الثقافة والهوية ، مجلة الرفقة العدد (2) طرابلس ، مارس 2002 .